نيرون

طاغية الرومان

الخيال مهما ينم ويترعرع فهو قزم إلى جانب الواقع الذى إذا عرفناه أخذ بالألباب ، وقد يطير بصواب ذو العقول الخفيفة وأنا على ثقة أنه ليس بين قرائى منهم أحد .

ونحن لا نملك القدرة على أن نبدل الماضى ، ولكن من الواجب علينا أن نفهمه حتى يمكننا أن نقى أنفسنا شرور ما حدث فيها ، وحكم الطغاة لم ينته حتى الآن فى أنحاء الأرض ، نجد ملامحه فى دولة ما ، فى مجتمع ما ، ولا شك أن انتصار حكم الفرد وسيطرة الحكم الشمولى هما عنوان الطغيان ، وعلى العكس فإن انتصار الديمقراطية وظهور دولة المؤسسات وحماية حقوق الفرد فى مواجهة سيطرة المجتمع واستغلاله وفى مقابل حماية المجتمع من طغيان الفرد وسيطرته وهيمنته ، هذا المجتمع مجرد ظهوره يجعل الحزن والأسى ينتاب الشيطان وحاشية السوء وبطانة النفاق والتملق .

وتعتبر دراسة نيرون ، دراسة لشريحة معينة من الطغيان ، لا تتكرر كثيرًا فى التاريخ لما تحمله من شكل القسوة والجحود ، لقد كانت

أيام حكمه عذابًا لا ينسى ولحظات سلطانه ذكريات لا تمحى إلى درجة يمكن القول معها إن التاريخ خجل مما فعله ولأن الشيطان احتقر نفسه لأنه رأى أستاذًا له بين بنى البشر .

هذا الطاغية ، هو « نيرون » إمبراطور الرومان المدلل ، ذو السبعة عشر ربيعًا ، الذى اغتصب الملك ولم يكن له حق شرعى فيه ، وفى الطريق إلى العرش قتلت أمه قيصر روما المدعو « كلوديوس » ولكى يثبت هو نفسه فوق هذا العرش قتل الوريث الشرعى المدعو « بريتنيكوس » ابن الإمراطور كلوديوس ، كما قتل أمه بل اغتال أقرب معاونيه عندما شعر أنهم عقبة أمامه للحكم المطلق ..

ويعد نيرون من أشهر سفاحى الرومان ، من أكبر ممثلى مسرح السياسة العالمية وكان له مظهر برىء لا ينم عن حقيقة الوحش داخله ، كانت له كتفان ناعمتان مستديرتان ولم تنبت على جانبى وجهه شعرة واحدة ويوم أحرق روما بكى عليها وكان صادقًا فى ذلك ، فقد أفزعته النيران وصرخات الأطفال والأمهات ، فلم يتصور أن أوامره لها هذه القوة التدميرية ، ولا أن العذاب له هذا الكورس من الآهات والزفرات .

والواقع أن نيرون لم يكن بدعة ولا شذوذًا فى تاريخ الطغاة الرومان ، ولكنه كان أخلدهم للآثار التى ترتبت على حكمه ولم تُمحَ لما كان لها من الذكريات المؤلمة سواء فى نفوس مسيحيى

الإمبراطورية أو فى ذكرى وثنيتها فهى مرحلة حكم فقد فيها الرومان ابتسامتهم ، ونسوا بشريتهم ، وعاشوا منساقين وراء كذبة كبرى عندما اكتشفوا حقيقتها اهتزوا من الأعماق لضياع أعمارهم سدى ، ونسى هؤلاء الطغاة أن الشعوب لا ترحم حكامها إذا فسدوا ، قد لا تستطيع النيل منهم ، ولكنها تتربص لهم حتى ولو رحلوا إلى العالم الآخر ، نعم لم يكن بدعة فهناك طغاة من الرومان حكى لنا التاريخ الكثير عنهم ، مثل كاليجولا وسلا ، ويحاول كل طاغية أن يحمل دورة الزمن على أن تبطىء قليلاً ولكن الحياة رغم أنفهم تسير والزمن يتحرك دون أن يدروا ، لقد كان السفاح الإمبراطور كاليجولا يجد متعة فى شنق نوعية معينة واحدة من البشر ألا وهم الشعراء ، وكان يطلب إليهم أن يرتجلوا الشعر وأن يغنوه وأن يرقصوا ثم يأمرهم بأن يلقوا بأنفسهم من شرفة عالية !! ! ولقد أدت به نزواته إلى اغتياله .

أما سلا » ذلك السفاح الثانى فقد كان حاكما مجردًا من روح العطف وذلك سلبه القدرة على التمييز ، ولم يشعر الشعب بأى ولاء نحوه فى فترة حكمه من ٨٢ ق .م إلى ٧٩ ق .م ، وكان ضيق الأفق وخلف وراءه تركة مثقلة بالكراهية .

كان نيرون متخوفًا متخاذلاً ، حقودًا ، قاسيًا يحكم عن هوى ، آمن أن الراعى الصالح هو من يجز صوف غنمه ، لا من يسلخ

جلدها ولكنه خالف هذه القاعدة فى النهاية حيث أحرق عاصمة ملكه ، وهو يتلظى من نيران اللذة ، كانت غرائزه تتراكض فى مسرح كيانه وتتقاتل وتتفاخر وكانت الغلبة لأقواها وأعنفها وأشدها جسارة وقحة .

تولى نيرون الحكم عام ٥٤ ميلادية وظل يحكم ١٤ عاما وأنهى فترة حكمه فى شهر يونيو ٦٨ حيث قتل نفسه ، فكانت الخاتمة الطبيعية لأشرس طغاة التاريخ تعذيبًا لشعوبهم فقد أثار غضب النبلاء لاضطهادهم وأثار سخط الجيش بإهماله شئون الجنود ، وساعد على ثورة الجماهير بتسليمه ذمة الحكم لمحظيته اليهودية « بوبيه » .

كان نيرون متوسط القامة ممتلىء البدن أسمر اللون وضاءه ، وكان شعره مموجًا كثيفًا ، وعيناه زرقاويتين يثقلهما قوس حاجبيه الغزيرين أما أنفه فقد كان رومانيًا نبيلاً ، وأما فمه فقد كان ساخرًا قاسيًا غليظًا يتدلى طرفاه فى شره والتردد واضح على عينيه ، ولقد أدرك علماء النفس تلك العلاقة بين الشكل الخلقى والتصرفات السلوكية الشخصية ، وأظهر ما كان يبدو على محيا نيرون ذلك القلق الدائم والعيون الزائغة والحيرة القاتلة واضطراب النفس ، وتوزع إحساساتها وعواطفها ، لم يتعلم على يد معلم ولم يكن يجيد غير بعض أساليب البلاغة الكلامية استمدها من أحاديث رفاقه المتزلفين المتملقين .

كان نيرون مخلوقًا يتبع قانون اللذة وندائها وكان يهيم حبًّا بالشعر والموسيقى وفن النحت ، ويقضى ساعات فراغه تارة فى العزف على القيثارة ، وأخرى فى قرض الشعر ، وكانت أمه بثاقب نظرها تدرك أن ولدها لا يصلح أن يكون إمبراطورًا ، ولذا جاءته بالفيلسوف « سنيكا » وبذلت قصاراها فى إنهاض عقله وصقل عواطفه وإعداده للمنصب العظيم على يد ذلك الفيلسوف ، لقد أعجب نيرون بوالدته ، فى الوقت الذى كان يرهبها ويخشاها ، وكانت أمه تعد العدة لكى يرث ابنها عرش الإمبراطورية لذلك فإنها ظلت تتحايل حتى تزوجت من خالها كلوديوس ، رغم مخالفة ذلك للشرائع السماوية وللنواميس الرومانية ، ولكن أمه ظلت تغرى بحيل شيطانية خالها حتى وقع فى حبائلها وانقاد لها ثم خضع تمامًا لرغباتها الشيطانية ، وكان نيرون يجهل تاريخ بلاده ويجهل حدود الإمبراطورية الرومانية التى سيحكمها واستقدمت أمه عراف مصرى عبقرى وتنبأ لها قائلا لها : سيئول العرش إلى ولدك ولكنه سوف يقتلك » فردت قائلة : « ليقتلنى ولكن ليحكم » .

التف حول نيرون مجموعة من الأفاقين يحدقون به ويعظمون شأنه ، ويغدقون عليه آيات الثناء فيكاد يجن غبطة وفرحة ، وهذا الإعجاب المطلق كان طريقه إلى الطغيان وهذا التملق كان أحد

أسباب قسوته وغروره وخيلائه ، ولكن يحسن فى البداية الكلام عن روما قبل نيرون .

قبل ولاية نيرون :

ليس فى تاريخ الإمبراطوريات قديمها وحديثها سوى ثلاث إمبراطوريات كانت كل منها لسوء حظها تعانى من أباطرتها الضعاف وملوكها الباحثين عن مصالحهم دون النظر لمصلحة شعوبهم سوى الإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية العثمانية ، والإمبراطورية النمساوية ، قد حملت كل من هذه الدول الثلاث على مر الأيام التأكيد لدى كل المراقبين والمحللين أن سقوطها ينتهى بمأساة فاجعة سواء لملاكها أو لشعوبها . وتشابهت ظروف الإمبراطوريات الثلاث فى الإجرام المنتشر ، الذى أحاط بها وطوائف المحظيات والبغايا تعيث فى البلاط فسادًا ، والفوضى الخلقية تضرب أطنابها فى كل أراضيها ، وكان المحاسيب والمتزلفون المقربون للأباطرة والحكام يحكمون بدلاً منهم ويستبدون بالسلطة ويتشحون بذلك المجد الموهوب الذى ينشده كل وصولى ، وأمعن معظم حكام تلك الإمبراطوريات الثلاث فى غيهم وتمادوا فى الجرى وراء شهواتهم وجعلوا من حياتهم سلسلة متصلة من الجرائم ومجموعة نكراء من الدسائس والانتقامات وإهدار الدم البرىء .

ذلك هو المسرح السياسى الذى ظهر فيه « نيرون » طاغية الرومان الأكبر .. ذلك المجنون الذى لا زالت المؤرخين فى حيرة مما فعله بعاصمة ملكه « روما » ، حيث أحرقها هى ومن فيها وجلس فوق ربوة عالية يضحك ملء شدقيه ويلعب ألحانا هستيرية على قيثارته ثم فجأة ينقلب باكيا وكأن ضميره استيقظ نادمًا على هول الجرم الذى ارتكبه فى حق شعبه وبلده ، بل فى الواقع الجرم والإثم الذى ارتكبه فى حق التاريخ .

وفى غضون العام الذى أعلن فيه نيرون وليا للعهد أصيبت الدولة الرومانية بكوارث هائلة أقضت مضاجع الرومانيين وحرمتهم لذة الرقاد وخنقت فى نفوسهم بواعث المرح والسرور وزلزلت الأرض ودفنت جموع كبيرة فى هذا الزلزال تحت الأنقاض ، وقل حصاد القمح ، وفشا الجوع وانتشرت الأمراض وكأن السماء تنذر أهالى روما بالمستقبل الغامض الذى ينتظرهم .

وكانت الحياة فى روما التى عاصرها نيرون ، موزعة بين انتهاب الملذات وارتكاب الجرائم واشباع الغرائز ، وكان سلوك والدته وسلوك الإمبراطور وسلوك أشراف روما ، فى هذه الملذات أحدث فى نفس الشباب أبلغ تأثير وطبع نفسه بألوان التمزق فى الشخصية ، وكان يستطرب الحياة المستهترة الخليعة وانصرف إلى التمتع الجنونى بمختلف الرذائل ، وكان يخادع أستاذه فلا يكاد يبصره حتى يردد

بعض الحكم والآيات الفلسفية فإذا ما خلا إلى نفسه تمرغ فى الوحل ودفن الفضيلة بلا رحمة وكان يعد له معلمه سنيكا مجموعة من الخطب الرنانة والقصائد العصماء ، حيث يقوم بترديدها أمام الأشراف والقواد وخلالها يتضح له شخصية مهزوزة كانت تميل إلى التمثيل والتهريج ، كان يضحك تارة ثم يبكى ، يرفع الصوت ثم يخفضه ، يرسل الصرخة ثم يكبحها متوهمًا أنه والإله سواء .

لما بلغ الـ ١٦ سنة زوجوه بأوكتافيا ابنة الإمبراطور كلوديوس وسنها لا تتجاوز الحادية عشرة وهو زواج سياسى لتوثيق الصلة بين « نيرون » وبين العرش حتى يتسنى لأمه أن تحقق مأربها فى أن يصبح إمبراطورًا .

بدأ حياته السياسية متقربًا لمجلس الشيوخ حيث فرض عليه شخصيته بخطبته التى أعدها له سنيكا وسحر أعضاءه ببلاغة ، وأثار إعجابهم بدفاعه الحار عن المدن الرومانية البائسة ، التى هدمها الزلزال ودمرتها الحرائق وكان يطالب بإعفاء سكان تلك المدن من دفع الضرائب ويدعو لتحرير بعض شعوب الإمبراطورية وينصب نفسه محاميًا عن الضعفاء ونصيرًا لكل بائس محروم .

الإعداد لولاية العرش :

قلنا إن الخطوة الأولى لنيرون للوصول نحو العرش كانت خطيئة كبرى وهى زواج أمه من خالها الإمبراطور كلوديوس ، أما الخطوة

الثانية فهى إبعاد الوريث الشرعى ابن كلوديوس ، وكان يدعى « برتينيكوس » من العرش باتهامه بالجنون والسفه ، وتجىء الخطوة الثالثة بخطبة نيرون من أوكتافيا ، ابنة الإمبراطور كلوديوس ولم يكن عمرها يزيد عن السابعة وكانت رقيقة متواضعة صافية المحيا كالسماء فى روما أيام الربيع .

أما الخطوة الرابعة لتقريبه للعرش فهى محاولة تهذيبه وصقله فعين الفيلسوف « سنيكا » مربيًا له ، وشرع الفيلسوف سنيكا فى التعرف على شخصية تلميذه ، ولم يكد يجلس إليه ويتصل به ويستمع لحديثه حتى هاله ما انطبع عليه الفتى من غرور وخيلاء وزهو فحاول أن يهذب نفسه ويثقف عقله ويروضه على البساطة والتواضع وصدق العاطفة ونبل الوجدان وقوة الإرادة ، ولكنه اصطدم بخيلاء نيرون وباعتداده الجنونى ، فكر راجعًا وحاق به الفشل ، وبدلاً من أن يستأصل جراثيم الفساد من تلميذه ، اضطر أن يبقى عليها لأن التحدى والتصدى لها سيجعله يعود مرة أخرى إلى منفاه بعيدًا عن روما ، وسيحرمه السلطة التى أصبح يتمتع بها طالما هو قريب من نيرون ومن العرش .

ولم يكن لنيرون غير صديقين من العبيد أحدهما حلاق ، والآخر راقص وكان الأول يعطره ويطيبه ، والثانى يعلمه فنون الرقص ويروضه على القفز والعد ويفسد أخلاقه ، ويسمم عقله بما يقص

عليه من حكايات فاضحة ونوادر شائقة وأخبار وحوادث تلهب المخيلة وتضطرم فى البدن نار الشهوة ، وتجرد الإنسان من كل فضيلة وتنزل به إلى درك الحيوان وحضيض الفطرة الأولى .

ونجحت الأم أن تجعل الإمبراطور كلوديوس يعلن تبنى نيرون كخطوة أولى لولاية العهد ، ثم أعلن نيرون وليا للعهد ، وبدأت فروض الولاء والطاعة ومباراة النفاق والكذب للتقرب لنيرون ، ذلك الفتى المغرور الذى أحس أنه يملك كل شىء قبل أن يصبح إمبراطورًا حقيقيًّا بيده السلطة والسلطان .

وأحست الأم تغيرا فى علاقات الإمبراطور كلوديوس بها نتيجة لتدخل بعض العناصر المعادية لها ، ومن ثم لم تلبث أن وضعت له السم فمات لتوه ، وأعلن نيرون إمبراطورًا ، وظنت الأم أن الطريق أصبح سهلاً أمامها لتسيطر وتحكم ، ولكنها لم تكن تعرف حقيقة شخصية نيرون ، الذى كان شريرًا فى لؤم وغدر ، وورث عنها كل الصفات القبيحة عنيف الأهواء فى وحشية وغلظة ، قاسىَ القلب متحجر العاطفة ، أنانى النزعة ، حسى الرغبات ، عابثًا مستهترًا يعيش طوع نزواته ولا يكلف نفسه عناء ضبطها أو إرسالها فى حذر وتوسط واعتدال .

وبدأ الصراع بين نيرون وأمه من أجل الاستئثار بالسلطة والحكم ، ومن سوء حظ أمه أن من كانت تغذى الصراع هى حفنة من

النساء أولها أخت كلوديوس الأميرة « دوميسيا ليبيدا » التى كادت تخضعه لتأثيره ، لولا ثورة أمه التى اتهمت الأميرة بممارسة السحر وانتهى الأمر بإعدام هذه الأميرة ، وقد تضايق نيرون ولكنه لم يكن يملك أن يفعل شيئًا ، فقد كانت الفوضى سائدة وحبل الأمن مضطربًا ومجلس الشيوخ أداة ولعبة كل عضو فيه يبحث عن ذاته ، وجباة الضرائب يسرقون ، والقوانين محتقرة والمحاسيب والأتباع يعيثون فى الأرض فسادًا ويلقون الرعب فى النفوس العامة .

والواقع الذى لا يمكن لأحد أن ينكره أن نيرون فى مستهل عهده كان يرغب رغبة صادرة من أعماق شبابه فى أن يكون منقذ الإمبراطورية وكان يقول « إذا كانت الفضيلة تمكننى من الفوز بإعجاب العالم وإخضاع الأمم والشعوب لسلطانى فلماذا لا أكون فاضلاً ولماذا لا تكون الفضيلة مثلى الأعلى ؟

وليس من شك فى أن نيرون كان فى تلك الحقبة من حياته متأثرًا بحب الشعب له وتعلقه به وروعة استقباله ، فأراد أن يظهر عرفانه بالجميل ، وأن يكون عند حسن ظن الجماهير وأستاذه به ويخطىء المؤرخون الذى يعتقدون أن نيرون كان فى تلك الفترة رجلاً دجالاً منافقًا إذ الحقيقة أن الشعور الطيب كان يملأ نفسه والنية الحسنة كانت ماثلة فى آرائه وأعماله وتصرفاته حتى أنه وقد اضطر يومًا إلى توقيع حكم بالإعدام على أحد رعاياه صرخ قائلاً :

« ليتنى ما كنت أعرف القراءة والكتابة » :

ولكن ما الذى حول نيرون إلى طاغية نسى نفسه ونسى آلهته :

إنه النفاق، والضعف الذى تظاهر به حكام الإمبراطورية له ، والتملق والوضع فى روعه أنه سيدهم جميعًا ، لقد كانت أنظار الكل متجهة إليه والأشراف يتملقونه ، ورجال الدولة يخطبون وده وكانت والدته تلهب فيه بوعودها البراقة نزعة الغرور والكبرياء .

وكانت تقول له هى وأستاذه سنيكا :

« لو أتيح لك ، واعتليت العرش يومًا فاعلم أنك ستقوم بدور إله ، حياة الشعوب وموتها سيصبحان فى قبضة يدك كلمة واحدة منك ، يمكن أن تقر السلم أو تثير الحرب سيحبك الشعب محبة الوالد ولكن سترزح تحت أعباء السلطة لأنك لن تستطيع وأنت تفكر فى سعادة روما أن تفكر فى سعادتك الخاصة ، هذا هو المجد الذى ينتظرك وإنه لمجد جدير بالآلهة » .

الطغيان فى عهد نيرون :

من العجيب أن نيرون سلط طغيانه على الساحة الداخلية ، ولكن الأقدار كانت بجانبه فى الساحة الخارجية حيث حالفه الحظ على تحقيق بعض الانتصارات الخارجية ، وتخليص الإمبراطورية من بعض الأخطار التى حاقت بها .

لم يهتم بإقرار صور العدالة أو الرحمة ، بل كان يسعى دائمًا إلى إذلال شعبه وتسخيره لتحقيق رغباته ، وقد قيل إن نيرون لما عرف عنه من شغف بالتظاهر وولع شديد بتسليط الأضواء على شخصه ، فقد كان أول من أدخل نظام الجوقات التى تدرب تدريبًا محكمًا على التهليل لمقدمه وتحيته بهتافات قصيرة فى نغمات إيقاعية .

تحكم نيرون فى عقائد الأفراد وفى مشاعرهم وإحساساتهم وتعرضت الإمبراطورية فى عهده لشتى أنواع الرذائل والنقائض وتضاعف الانحطاط بانتشار نزعة المحسوبية ، وتفشى الملق والرشوة ونسيان الفضائل التقليدية وزوال روح الدين الذى استحال مجرد رموز لا أثر لها فى حياة الأفراد .

وكانت المسيحية قد بدأت تتغلغل فى أوساط العامة واعتنقها بعض كبار الدولة سرًا وكانت تعمل فى الخفاء ، وتبشر بنزعة روحية جديدة تتعارض مع النزعات السائدة فى الدولة وسميت مملكة نيرون مملكة الشيطان ، وبدأ نيرون يتعقب المسيحيين وما لم تكتبه كتب التاريخ عن اضطهاد نيرون للمسيحيين أكثر مما كتبته أقلام المؤرخين عن اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين ، لقد كان نيرون يتعقبهم ويضطهدهم ومن يقع منهم فى الأسر يدخل السجن ثم يقدم طعامًا للوحوش الضارية فى حفلات لاهية ..

ولعل السبب فى ذلك أنه وجد فى هؤلاء المسيحيين ما يمكن

أن يسرى على الناس حيث شاعت الفوضى فى دوائر الحكم وانتشر الرعب بين الناس وعم الاضطراب . ولقد كان من أثر النكبة التى حلت بنفسيته عقب أن اغتال أمه مرة بالسم فنجت وثانية بإغراقها فسبحت حتى وصلت الشاطىء سالمة ، ثم فى المرة الأخيرة أرسل لها مجموعة من الحراس فقتلوها بالسيف دون أن تنطق بآهة ألم ، كان من أثر ذلك أن أحس بوخز الضمير ، ولم يستطع طرد الأشباح التى كانت تحتل ذهنه وتعبث بعقله وتشرده فى أبهاء قصره مختنق الوجه زائغ البصر منكوش الشعر ، يصرخ ويهذى كالمجنون وغمرت روما موجة من الفساد ، فشاع الفجور بين السيدات وفشت الخنوثة بين الرجال ، وأطلقت الغرائز من عقالها ، وساد حكم اللذة وبات الشعب لا يفكر إلا فى ضروب اللهو وألفانين التمتع ، وتطورت نفس نيرون واستمالت إلى إرادة مرضية فى طلب اللهو عن طريق العنف وإحداث الألم ورؤية الجماهير هائجة وسماعها تصرخ صرخات جنونية محمومة شائنة ، قتل من المسيحيين فى روما وحدها أكثر من خمسين ألفًا قدمهم طعامًا للوحوش فى حفلاته ، وقتل من أعدائه فى أرمينيا التى هاجمها مرتين أعدادًا لا تحصى قدرها البعض بتواضع بأكثر من مائة ألف نفس .

قتل مستشاره الخاص « بوروس » بأن أرسل له طبيبه الخاص الذى دس له السم فى حلقه ، وأجبر الفيلسوف العظيم سنيكا

على الانتحار ، وقتل بريتانيكوس صاحب الحق الشرعى فى العرش ، واتهم زوجته أوكتافيا بالعقم دون أن يقربها بتاتًا ، وكانت أوكتافيا هى بداية ثورة الشعب ضده خاصة بعد أن طلقها ، وتزوج العاهرة بوبية ونادى بها إمبراطورية للرومان وكانت مطامع هذه المرأة سببا فى قتله أمه وفى جعله سفاحًا للمسيحيين ثم فى إحالته إلى رجل معتوه .

الطغيان فى التاريخ فنون وألوان ، والطاغية نيرون صورة مماثلة لحياة البهيمية اللا أخلاقية ، فقد باع كل شىء فى سبيل ، عربة اسمها اللذة ، باع الأصدقاء والأتباع تخلى عن الزوجة والأم ، قتل كل ما هو طاهر فى سبيل أن ينعم بالخطيئة ، كان لابد من نهاية للطاغية تتفق وللذنوب التى ارتكبها من أجل الاستمتاع بالسلطة .

عندما فقد الشعور بالأمن انعكس ذلك على سلوكياته تجاه نفسه وتجاه الآخرين فأصبح لا يحب أن يرى أحدًا آمنا ، وساد الخوف رعاياه وامتلأت السجون بالضحايا وصدرت آلاف الأحكام بالنفى والتشريد والإعدام وطارد الفلاسفة الرومان وأعدم بعضهم ، وزج بالكثير منهم فى ظلمات السجون .

ولم يستطع نيرون إخفاء عوامل ألمه وكبح جماح تصوراته وطرد أشباح ضحاياه من نسج تفكيره فكان ذهنه محاطًا بالأوهام ،

مليئًا بالوساوس يستغرقه التأمل الأجوف وتنهكه الرءوس الدامية وتجرد إحساسه وعقله من كل رجولة وكل إرادة وكل حياة استحال على مر الأيام إلى طفل حانق لا يعرف أسباب حنقه فكان منظره يثير الاشمئزاز ، ويبعث على السخرية ، وتوالت حوادث الاعتقال ، والتنكيل والإعدام وأصيبت أكبر الأسر فى أعز أبنائها وسحقت الارستقراطية الرومانية سحقًا وعمر البلاد الخوف ولاح شبح الموت فوق أرض الإمبراطورية يهدد كل شىء حى ..

وبدأ الإمبراطور يقع فى خطأ يتلوه خطيئة فى حق شعبه ودبر المؤامرات لإسكات كل صوت وثارت الجماهير تحطم رسوم « بوبية » الإمبراطورة الداعرة وتتوعدها بالعقاب العاجل والموت القريب وحاصر الجمهور قصر الإمبراطور وخشى الإمبراطور على نفسه بعد أن انخلع فؤاده من ثورة الشعب وأمر الجيش بطرد الثوار فكانت مذبحة قتل فيها أكثر من عشرة آلاف قتيل ، ولاذ الباقى بالفرار تتعقبه حراب الجنود .

ويهب المسيحيون للدفاع عن أنفسهم فيحرقون بعض أحياء روما ، وعندئذ يأمر الطاغية نيرون بحرق باقى أحياء المدينة بحجة تطهيرها من الفساد والضلال ويظل يغنى على قيثارته ، وهو يرى النيران تسيطر تمامًا على كل أحياء المدينة والناس تصرخ

مستغيثة وما من مجيب ، وضاع بجنون نيرون أعظم تراث تاريخى وأكثر من مائة ألف نسمة فاجأتهم النيران ولم يستطيعوا الهرب منها .

وبدأت ثورة الجيش ضده ، جيش أسبانيا تمرد ونادى بقائده « جلبا » إمبراطورًا وجيش جرمانيا ثار ، ونادى بقائده « كابيتو » إمبراطورًا وجيش أفريقيا ثار ونادى بقائده « مانسو » إمبراطورًا وزحفت جيوش جلبا على روما التى كانت قد أصبحت يبابًا خرابًا تنعى من بناها ، واضطرب نيرون واختلطت أوامره وصار يناقض بعضها بعضًا واستوثق أعوانه من جنونه ، ولما أعماه الغضب والرعب نادى بقتل حكام الأقاليم وذبح قواد الجيش مؤكدًا أن الكل خائنون وأنهم يستحقون الهلاك . وهدد بإلقاء مجلس الشيوخ للوحوش الكاسرة وكان لا يدرى ما يقول لفرط ما برحْ به الجنون واستحوذ الرعب على كل جارحة فيه ، قبل مصرعه كان يفر هاربًا من مكان إلى آخر بعد أن تخلى عنه الجميع ولم يجد ما يأكله سوى قطعة خبز جافة وقدح ماء ولم يجد ما ينام عليه سوى فراش أحد العبيد فتمتم لمن حوله قائلاً : هذا هو المصير الذى انتهى إليه سيد العالم .

وأدرك أن الجنود الثوار يتعقبونه فملكه الرعب حتى أدنى نصل خنجره من عنقه وجبن عن طعن نفسه فقام سكرتيره الخاص الذى

بقى معه إلى آخر لحظة وطعنه طعنة نجلاء انتفض على أثرها انتفاضة فظيعة ثم ضرب الهواء بذراعه اليسرى ثم تحشرج صوته وسالت من فمه الدماء ثم هوى على الأرض ، واصطدمت رأسه بحجر شجه فى اللحظة وعندئذ أعلن عن مصرع الطاغية نيرون وتنفست روما الصعداء ..

obeikandl.com